

مُهَمِّتِ الْمَسْجِدَ فِي عَهْدِ النَّبَوَّةِ
وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الرَّائِي

بقلم

دكتور

محمد يوسف كريمة

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين (بالقاهرة)

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن
اتبع هداه .

وبعد :

فقد أرسل الله رسوله محمداً — ﷺ — شاهداً ومبشراً ونذيراً ،
وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلغ الرسالة ، وكان المثل الأعلى
للناس فى دعوته وعبادته ، وفى سلمه وحرابه ، ومع أهله وأصحابه ، فكان
صورة حية يتمثل فيها قول الله — «وإنك لعلى خلق عظيم» (١) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢) .

والدعوة إلى الله حياة الأديان ، فما قام دين ، ولا ثبت مبدأ إلا
بالدعوة إليه ولا تداعت ملة ، ولا درست طريقة ، ولا تلاشت شرعة
بعد قوة إلا بترك الدعوة حتى المذاهب الحقنة تتضاءل وتزول بإهمال الدعوة
إليها ، ولو كان الحق يقوم بنفسه ، وينشر بذاته لما فرضت الدعوة إليه
ولما كان هناك حاجة إلى الأنبياء والمرسلين ، والعلماء العاملين ، والمرشدين
الناصحين ، ولما كانت الدعوة إلى الله أحسن القول ، ولما أمر نبيه —
عليه الصلاة والسلام — أن يئبه إلى أن طريقته ومن كان قبله هى الدعوة
إلى الله على بصيرة كما جاء فى قوله تعالى : «قل هذه سبيلى أدعو الى الله
على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين» (٣) .

(١) ن : ٤

(٢) رواه ابن ماجه

(٣) يوسف : ١٠٨

وفي هذا البحث نحاول إبراز الدور الذي قام به المسجد في عصر النبوة، والعصور التي بعده. ثم رسالة المسجد في العصر الحديث موضحين كيف حول المجتمع من ظلمات الكفر والجهل والفوضى إلى نور الإيمان والعلم والنظام.

وقبل أن ندخل في موضوعنا نلقى نظرة سريعة على السكيفية التي تم بها بناء المسجد النبوي الشريف فنقول: -

بناء المسجد: -

نزل رسول الله - ﷺ - المدينة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الأولى من الهجرة بعد أن أقام في بني عمرو بن عوف أربعة أيام، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي، ثم ركب ناقته، فلم تزل سائرة به لآتمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا في النزول عليهم، فيقول عليه الصلاة والسلام: «دعوها فإنها مأمورة»، فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم، وبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا، ثم التفتت فرجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها، وذلك في بني النجار أخواله ﷺ.

وكان هذا المكان مربدا لسهل وسهيل - غلامين يتيمين من الأنصار كانا في حجر أسعد بن زرارة - فأشتراه الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعشرة دنانير، وقام عليه الصلاة والسلام وأصحابه بتسويته وإعداده للبناء عليه، وبني المسجد بالطوب اللبن، وكان عليه الصلاة والسلام يبني معهم، وينقل الحجارة واللبن بنفسه ويقول: «لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم المهاجرين والأنصار» (١).

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ١١٤، ١١٥

وما إن تم البناء حتى بدأ المسجد يؤدي المهام التي بنى من أجلها وهي كثيرة ومتنوعة أهمها وأعظمها نفعا للمسلمين مايلي :-

أولا : آداء الصلوات الخمس والجمع .

حيث يلتقي المسلمون مع بعضهم في المسجد يجمعهم هدف واحد هو مرضاة الله - عز وجل - فيدخلون المسجد بقلوب متفتحة للإيمان ، منطلقة إلى السماء متحلية بالخشوع والخضوع لله - عز وجل - منسلخة من أغيار الدنيا وشهواتها ثم يقومون صفا واحدا يستوى فيه الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، أقدامهم متراسة ، وأكتافهم متزاحمة ، وجباهم على الأرض ، يستوون في شرف العبودية وفي العبادة .

ثانيا : مكان للتشاور بين المسلمين .

ففي عظامم الأمور ينادى : الصلاة جامعة ، فيجتمع المسلمون في المسجد ويتشاورون في أمورهم مثل إعداد العدة للدفاع عن المدينة ، أو الذهاب لملاقاة الأعداء خارجها ، أو مبايعة الخليفة البيعة العامة بعد أن تم اختياره لإدارة شؤون المسلمين الدينية والدنيوية ، ثم يقوم الخليفة فيصعد المنبر فيخطب خطبة يشرح فيها المنهج الذي يسير عليه مدة خلافته على المسلمين كما فعل أبو بكر - رضى الله عنه - عندما بويع البيعة العامة في المسجد فقام وخطب في الناس قائلا : «إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنتم فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة ، والكذب خيانة إلى أن قال : قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله ، (١) .

وهكذا فعل الخلفاء الراشدون من بعده .

(١) الخلفاء الراشدون للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٣

ثالثا : مكان لسكنى فقراء المهاجرين (أهل الصفة)

يقول الله - تعالى - وللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم، (١) .

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : يعنى المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم (٢) .

ومن المعروف أنه عليه الصلاة والسلام كما قام ببناء المسجد مركز التجمع والتألف قام بعمل آخر من أروع ما أثره التاريخ وهو عمل المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبية الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام ، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمرورته وتقواه كما قال سبحانه : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، (٣) .

تم ذلك التأخي لمن سبق إلى الهجرة ، أما الذين تأخروا في اللحاق بهم فلم يتمكنوا من الحصول على ما حصل عليه السابقون ، فبنى لهم النبي ﷺ - مكانا في مؤخرة المسجد ، فسمى المكان (صفة) ، وكان يأوى إليها كل من لا أهل له ولا مال ، فيجعل لهم النبي ﷺ - نصيبا من الزكاة والصدقات والهبات حتى يجعل لهم سبيلا إلى المعيشة الكريمة أو منزلا يأوون إليه .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤

(١) البقرة : ٢٧٣

(٣) الحجرات : ١٣

وكان أهل الصفة قد بلغوا أربعمائة كما في عوارف المعارف
للسهروردي .

وجمع الجميع أبو نعيم في الحلية وعدتهم تقرب من المائة .
وقد قال أبو نعيم : كان عدد أهل الصفة يختلف بحسب اختلاف الحال
فربما اجتمعوا فكثروا وربما تفرقوا إما لغزو أو استغناء فقلوا (١) .

وكانوا يتعلمون القرآن ، ويصومون ، ويخرجون مع النبي - ﷺ -
- في الغزوات ، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يدعوهم إلى
العشاء معه بالليل ، أو يفرقهم على أصحابه ليتعشوا معهم في منازلهم .
عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : دكنت من أهل الصفة ،
وكننا إذا أمسينا حضرنا رسول الله - ﷺ - فيأمر كل رجل فينصرف
برجل أو أكثر فيبقى من بقى عشرة أو أقل أو أكثر ، فيأتي النبي - ﷺ -
- بعشائه فنتمشى معه ، فإذا فرغنا قال : ناموا في المسجد (٢) .

ويتبين مما سبق أن الصفة مكان في مؤخرة المسجد النبوي مظل أعد
لنزول الغرباء فيه بمن لا مأوى له ، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب
من يتزوج منهم ، أو يسافر ، وأن الرسول - عليه الصلاة والسلام -
كان يجالسهم ، ويأنس بهم ، وكانوا فقراء ، وكان عليه الصلاة والسلام
يطعمهم بأن الله - سبحانه - سيجزيهم أحسن الجزاء على صبرهم ،
وتحملهم شظف العيش ، وقسوة الحياة .

أسنديحي عن فضالة بن عبيد قال : كنا نصلي مع رسول الله - ﷺ -
- فينخر قوم من قانتهم من الخصاص (الفقر والحاجة) حتى يقول

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٨٦ .

الأعرابي : مجانين وهم أهل الصفة ، فإذا صلى رسول الله ﷺ —
أناهم فوقف عليهم فقال : لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا
فقرا وحاجة (١) .

رابعاً : مدرسة للتعليم والتثقيف :

كان ﷺ إلى جانب محاربه للكفر في كل مكان لا يفوته أن يجلس
في المسجد للعلم والتعليم ، فيقبل على مجلسه هذا الرجال والنساء حتى شكت
النساء من مزاحمة الرجال ، فطلب من رسول الله ﷺ أن يجعل لهن يوماً
غير يوم الرجال ، فأجابهن إلى ماطلبن ،

« عن أبي سعيد : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول
الله ذهب الرجال بحديثك فأجعل لنا من نفسك يوماً فأتيك فيه تعلمنا
بما عليك الله » فقال : اجتمعن في يوم كذا وكذا ، وفي مكان كذا وكذا
فاجتمعن ، فأتاهن رسول الله ﷺ — فعلمن مما علمه الله ...
الحديث (٢) .

وقد اختار النبي — عليه الصلاة والسلام — المسجد ليكون مركزاً
للتعليم والتثقيف والتفقه في الدين بتبليغ الوحي وتوضيحه في خطب
الجمعة ، ومجالس العلم . وفي كل فرصة تسنح له لأنه أنسب الأماكن لهذه
المهمة العظيمة خصوصاً عند اجتماع المسلمين للصلاة في جماعة كل يوم خمس
عرات ، يجتمع منهم عدد كبير يصلح للتعليم والتوجيه و عدد أكبر يوم

(١) وفاء الوفا ج ٢ ص ٤٥٣

(٢) رواه البخاري في باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء
بما علمه الله ليس برأى ولا تمثيل .

الجمعة تلقى عليهم خطبه الجامعة وإرشاداته المتنوعة ، والتعلیم ذكر الله سبحانه ، وتذكیر به سبحانه ، وبدینه وشرعه .

وكان — عليه الصلاة والسلام — يعقد مجالس العلم في مسجده ، ويتزاحم المسلمون عليها ، ويتنافسون في القرب منه لتمام الإستفادة :

عن الحارث بن عوف أن رسول الله — ﷺ — بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله — ﷺ — فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله — ﷺ — قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ، (١) .

وقد حث النبي — عليه الصلاة والسلام — على حضور مجالس العلم في المسجد فقال : ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده (٢) .

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله — ﷺ — يقول : من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا خير يتعلمه ، أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره .
إن مسجد رسول الله — ﷺ — كان يغذى القلوب والأرواح

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه مسلم :

بالصلاة والذكر . وقراءة القرآن . ويغذى العقول بالعلم والمعرفة الشاملة
وهذان الغذاءان عليهما حياة الإنسان ، وفيهما قوته وشرفه .

ولعل ماجاء من النصوص في القرآن والسنة يحصر فيها مهمة المسجد من
ذلك قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له
فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ،^(١) .

ومارواه مسلم عن أنس - رضي الله عنه - في حديث الأعرابي الذي
بال في المسجد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن هذه المساجد
لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة
القرآن ، .

المسجد النبوي بعد وفاة الرسول - عليه الصلاة والسلام -

ظل الصحابة بعد وفاة النبي - ﷺ - يتدارسون القرآن في المسجد
النبوي ويتذاكرون فيه الحلال والحرام ليتفقهوا في الدين

روى الطبراني عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه مر بسوق
المدينة ، فوقف عليها فقال : يا أهل السوق ما أعجزكم؟ قالوا : وما ذاك
يا أبا هريرة؟

قال : ذاك ميراث النبي - ﷺ - يقسم وأنتم هاهنا ، ألا تذهبون
فتأخذوا نصيبكم منه؟ قالوا : وأين هو؟ قال : في المسجد . فخرجوا سراطا
ووقف أبو هريرة لم يبرح مكانه حتى رجعوا ، فقال لهم : مالكم؟ فقالوا

(١) النور : ٣٦ ، ٣٧

٩

(٢٦ - حولية أصول الدين - القاهرة)

ياأبا هريرة قد أتينا المسجد، فدخلنا فيه، فلم نر شيئاً يقسم، فقال أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى، رأينا فيه قوما يصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ.

استمر الأمر هكذا في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حلقات متصلة ودروس متتالية إلى أن أخذ الأمر نطاقاً أوسع في عهد التابعين فرأينا الفقهاء في المدينة المنورة الذين استحقوا هذا الإسم عن جدارة واستحقاق لما عرف عنهم من الجهد والاجتهاد في نشر العلم وتبليغه. ومن هؤلاء سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وكان يوصف بفضله المدينة وقد نقل عن ابن عمر مولاة عالماً كثيراً وعد محمداً ثقة.

ومنهم ابن شهاب الزهري، واسمه أبو بكر محمد بن مسلم المدني من زهرة بن كلاب من قريش، وهو الذي يعد رأس المدونين في الحديث، وواضع علم الحديث رواية، ويلقب بأعلم الحفاظ حتى قال عن نفسه: ماصبر أحد على العلم صبري ولا نشره أحد نشرى، ومع نشاطه في الحديث يعد من فقهاء المدينة من طبقة ابن هرمز وإخوانه^(١)

(١) الدعوة إلى الإسلام ووسائلها / د/ سليمان الدبشة نقلا عن أعلام

العرب ص ٩٧

رسالة المسجد بعد عصر الصحابة والتابعين

— رضى الله عنهم أجمعين —

هو لاء العلماء وغيرهم مما لا يتسع المقام للحديث عنهم أخذوا مكانهم فى المسجد النبوى ، ووفد إليهم الطلاب من كل مكان يتلقون عنهم العلم فى رغبة وأمانة وصدق ، ثم هم بدورهم ينشرون هذا العلم ويبلغونه للناس حق تصل الدعوة الإسلامية إلى غايتها حسبما فرض الله — سبحانه — ذلك ، وأمر به ، ثم وجدت بعد ذلك على مر الأجيال والأزمان معالم وأعلام ، معالم لتلقى العلوم فى مكة المكرمة . والكوفة ، والبصرة ، ودمشق وبغداد ، والقاهرة ، وتونس ، وفاس ، وقرطبة . وبخارى ، وسمرقند ، وغيرها من البلدان الإسلامية التي كان بها المئات من المعاهد والكتليات لأنواع متعددة من الدراسات الإسلامية .

وكل هذه العلوم والمعارف كانت منطلقاتها من المساجد الجامعة فى تلك البلدان . وقد كان يختار للدراسة فيها أعداد كبيرة من التابعين الأذكياء ، وتخرج منها الأعلام من القضاة العادلين ، ومن الدعاة إلى الله — تعالى — المخلصين . ومن المدرسين فى شتى أنحاء الأرض حاملين مشاعل العلم ، ومصابيح المعرفة يدعون إلى الله على بصيرة ، ويرشدون أمم الأرض شرقاً وغرباً إلى هذا الدين وخصائصه ، هذا إلى جانب دراسة الطب والفلك والعلوم^(١)

(١) رسالة المسجد . ربيع الأول ١٤٠٢ هـ يناير ١٩٨٢ م مقال تحت عنوان : المسجد وأثره فى الدعوة الإسلامية .

لكننا نجد بعد ذلك أن مهمة المساجد كعاهد علمية ، وجامعات لثقى العلوم والمعارف قد تقلصت ، ولم يبق منها إلا أداء الصلوات الخمس والجمع في جميع المساجد الجامعة وغيرها ، ووظيفة تدريس العلوم المختلفة ودراستها والتي حفلت بها المساجد الكبيرة في كثير من الأمصار الإسلامية أزمانا طويلة ، وأجيالا متعاقبة حتى عهد قريب قد أهملت واندرت ، ولم يبق إلا في مساجد معدودة ومحدودة مثل المسجد الحرام في مكة المكرمة والجامع الأزهر بالقاهرة .

والواجب على الحكومات والشعوب الإسلامية أن يعودوا إلى الإهتمام بالمساجد ، وأن يجعلوها مراكز لإشباع للعلوم والمعارف المختلفة والمفيدة لتعود لها مكاتها في توجيه الأمة ، وتبصيرها بأمور دينها ودنياها ، ينطلق منها الدعاة المخلصون ، ويتخرج منها الأمة المجتهدون .

ولم يكن الدعاة إلى الله في يوم الأيام عبر مراحل التاريخ المختلفة إلا الطليعة المباركة في قيادة الجماهير ضد الإحتلال ، وضد الغزو الصايبي سواء في المشرق العربي ، أو المغرب العربي ، أو غيرهما يحشون شباب الأمة على خوض الممارك الفاصلة بين الحق والباطل ، ويبشون فيهم روح الشجاعة والإقدام ، ولا يخفي عنا ما قام به الإمام أحمد تقي الدين بن تيمية — رحمه الله — من دور بارز في الحرب ضد التتار، فقد كان يحث القادة والجنود وجماهير الأمة على الصمود ، والألفة ، والأخوة ، والتعاون فيما بينهم

وما قام به الإمام عز الدين بن عبد السلام — رحمه الله — بالمرابطة في مواجهة الحملة الصليبية السابعة على مدينة المنصورة ، فكان بخطبه الحماسية يدفع بالآلاف من الشباب لخوض المعركة دفاعاً عن الدين والوطن مما أدى إلى تحطيم هذه الحملة الشرسة ، وأسر قائدها .

كما لا ننسى ما قام به شيوخ الأزهر من الكفاح والجهاد ضد الحملة الفرنسية العاشمة على مصر ، فقد كان هؤلاء العلماء يقودون الجماهير المصرية المسلمة بأنفسهم لمقاومة الغزاة المعتدين مما أدى إلى ضرب الأزهر بمدافع الفرنسيين ، وإعدام ثلاثة عشر من شيوخ الأزهر البارزين .

هذا قليل من كثير مما قام به المسجد من دور إيجابي ، في السلم نشر للعلم والمعرفة ، وتخرج للعلماء والفقهاء والدعاة ، وفي الحرب حصن منيع ، ومنطلق لفصائل المجاهدين المخلصين المدافعين عن دينهم وأوطانهم .

رسالة المسجد في العصر الحديث

من خلال ما تقدم رأينا كيف أثبت التاريخ الإسلامي أن المسجد لعب دوراً فعالاً في صلاح الأمة الإسلامية دينياً ، وتقدمها فكرياً وحضارياً على مختلف العصور يعرف ذلك كل من أمعن النظر في حياة الرسول ﷺ - ومن جاء بعده من الصحابة والتابعين .

ومساجدنا اليوم لا نرى فيها الملاح المشرقة لمسجد المدينة الأول ، وأخذ دورها يتضام مع عصور التأخر ، وغفلة المسلمين عن المؤامرات الأجنبية التي استطاعت في فترة الضعف والتخبط أن تعمل على تعطيل منابع القوة والوحدة في كيان الأمة المسلمة ، وكان أول وهن يصيب المسلمين هو انفصال حياة المسجد عن حياتهم وتعطيل شعائره فيما بينهم . فوهنت روح الدين في نفوسهم ، وكان هذا الهدف الأكبر للإستعمار حين غزا بلاد المسلمين ، فجعل أول ضرباته تجريد المسجد من كل ألوان النشاط الديني ، ومظاهر العبادة التي كان يقوم بها في حياة المسلمين .

وكان ن أقام الإستعمار الكثير من الأندية ، ودور اللهو ، والمؤسسات الترفيهية المساجنة ، فانصرف الشباب عن المساجد ، وذهب

إلى هذه الأماكن التي تعمل دائمة على تجريد الشباب من قيمه ومبادئه ،
وقتل كل معالم الفضيلة والتقوى فيه حتى غدا لقمة سائغة لخطط التخريب
العقدي والأخلاقي وصدق الله إذ يقول: «نخلف من بعدهم خلف أضاعوا
الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا» (١) .

ولذلك فإنه لن يصلح حال هذه الأمة إلا إذا عادت إلى القاعدة
الأولى للدعوة الإسلامية وهي المسجد . وعادت به إلى الحال الذي كان
عليه في صدر الإسلام ، لأن المسجد ليس معبداً تقام فيه الصلوات ، ثم
تقف أبوابه بعد ذلك فحسب وإنما هو مصنع للرجال ، ومكان اللقاء بين
الدين والدنيا لحاق المجتمع النقي النظيف كما قال سبحانه : «إنما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا
الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين» (٢) .

ونريد أن نقف على مدلول كلمة «عمارة» وما الأعمال التي تدخل
في مضمونها : -

يقول الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية : فشهد تعالى بالإيمان
لعمار المساجد ، كما قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالإيمان ... الحديث» .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ - : «إنما عمار
المساجد هم أهل الله» .

وعن أنس مرفوعاً يقول الله : وعزتي وجلالي إني لأهم بأهل الأرض

(١) مريم : ٥٩

(٢) التوبة : ١٨ .

عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتى ، وإلى المتعابين فى ، وإلى المستغفرين
بالأسحار صرفت ذلك عنهم^(١) .

وقال الأستاذ محمد رشيد رضا: تطلق العبارة على عبادة الله فى المسجد،
وعلى لزومه وعلى الإقامة فيه ، وعلى بنيانه وترميمه ، قال فى اللسان : عمر
الرجل الله بمعنى عبده وعمر الرجل ماله وبيته يعمره « بالضم » عمارة
وعموراً وعمراً أى لزمه .

قال الراغب : ويقال عمرت بمكان كذا أى أقمت بهقال العمارة نقيض
الخراب وحفظ البناء^(٢) .

ويتضح مما تقدم أن كلمة عمارة فى الآية تتناول جميع معانيها التى تدل
على العناية بالعبادة ، وبتدار العبادة وهو المسجد ، وعلى النسك المخصوص
المسمى بالعمرة وهى خاصة بالمسجد الحرام ، وعلى لزومه والإقامة فيه
لخدمته الحسية ، وعلى بنيانه وترميمه ، وكل ذلك مراد هنا ، لأن اللفظ
يدل عليه والمقام يقتضيه ، والمختار عندنا استعمال المشترك فى معانيه التى
يقتضيها المقام تبعاً للشافعى وابن جرير^(٣) .

ومن هنا حث الإسلام على بناء المساجد ، وتشبيدها ونشرها
فى الأرض لإعلاء للتوحيد وإرغاماً للشرك ، وتقرباً لله عز وجل .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال :
« إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ،
وولداً صالحاً تركه ، ووصحفاً ورثه أو مسجداً بناه »^(٤) .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٠

(٢) تفسير المنار ج ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) أخرجه ابن ماجة والبيهقى بسند جيد .

وفى صحيح البخارى عن عثمان بن عفان يقول : ... وإنى سمعت النبي
ﷺ يقول : من بنى مسجداً - قال بكبير : حسبته أنه قال -
يبتغى به وجه الله ، بنى الله له مثله فى الجنة (١) .

ومن أبرز الأهداف التى يقوم بها المسجد على مر التاريخ الإسلامى
هو ترسيخ الإيمان وزرع العقيدة فى نفوس المسلمين ، فالمسجد كان
ولا يزال واحة الإيمان ، ودوحة العقيدة ، والمصلون رواد لهذه الرياض
والبساتين يقطفون من خيرها ، ويحججون من ثمارها .

ولا ينبغى أن نقصر دور المسجد على الجوانب العبادية دون الجوانب
الاجتماعية والسياسية والتعليمية وغيرها من الأمور الهامة ؛ ونحن فى عصر
نحتاج فيه إلى توسيع نظرتنا ، وتعميق فهمنا عندما نتناول قضايا الإسلام
المعاصرة ويجب أن نعلم أن الإسلام اليوم يزاحم ويحاصر حتى فى عقر
داره ، وأن مشاكل المجتمع الإسلامى كثيرة ومتنوعة ، إذ تطرح أنظمه
ومناهج بديلة عن الإسلام وتجري المحاولات الكثيرة لعزله وتنجيته ،
وضرب الأستار الحديدية على نموه وحركته باسم الشيوعية تارة ،
والإنحلال الذى تروج له الصهيونية العالمية وكماهم يقصدون بذلك الدين
الإسلامى ، ويريدون القضاء عليه . فالمطلوب منا أمام هذا الغزو ،
وهذه المؤامرات أن نطلق الإسلام من عقاله ، وأن نرفع شعاراته
فى كل ميدان ، وأن نتخذ من المسجد قلعة نكدر منها على أعداء الله ودينه
المتربصين بالإسلام وأهله دوائر السوء ، وإن جندنا لهم
الغالبون .

فى المجتمع الإسلامى مشاكل للعامل والفلاحين والتجار والموظفين ،

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة .

وهم جميعا ينتظرون رأى الدين من خلال توجيهات الدعاة المخلصين، لان كثيرا من هذه المشاكل تتعلق جذورها بالإيمان الكامن فى قلوبهم .

فى بعض المجتمعات الإسلامية زيادة عددية فى الافراد مع قلة فى الموارد، وهى فى حاجة إلى توعية دينية قوية للعناية بالتربية والتهديب والبحث عن العمل المثمر لتغطية مطالب الحياة، والأخذ بسبل النهوض العلمى، والوسائل الحديثة له فى هذه المجتمعات من كافة النواحي .

وفى المجتمع المعاصر تنتشر المخدرات والسموم القاتلة، وتروج أفكار ومفاهيم تحاول أن تبرر هذه المحرمات بنوع من التأويل للقرآن والسنة .

والمسجد فى المجتمع المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جلييلة عن طريق الدين الذى كان ولا يزال من المرونة والصلاحية بحيث يمكن أن يوجد حلا لكل مشكلة، وحكما لكل حادثة وجوابا لكل سؤال، والداعية الدينى المؤمن برسائله يمكنه تناول كل ما يحدث فى المجتمع تناولا يوضح المهم، ويصحح الخطأ. ويقوم المعوج، ويعالجه معالجة تساعد على بقاء الخير، وإزالة الشر .

وهناك مواصفات حسية ينبغى توافرها فى المسجد حتى يودى دوره على أكمل وجه فلا بد أن تكون التهوية كافية، وأن يكون فرشته مناسبة للجلال، وللغنى الذى يودى فيه وأن تلحق به مكتبة مزودة بالكتب الدينية والثقافية الهامة يشرف على إدارتها موظف متخصص لتيسير الإطلاع عليها، وأن تلحق به قاعة لإقامة المناسبات ووحدة علاجية متكاملة وبأسعار مخفضة كي يتمكن غير القادرين من العلاج فيها، وأن تخصص فيه حجرة لفض المنازعات، والإستفتاء فى الأمور الخاصة حفاظا على الأسرار، ومنعا من التشويش على المصلين، إلى غير ذلك من المواصفات الكثيرة التى لا يتسع المقام لذكرها .

ونلاحظ أن هذه المواصفات المقترحة وغيرها مهمة وحيوية، وتمليها حاجة المجتمع الحديث الذي تطور فيه كل شيء، ووسائل الدعوة للإسلام جزء من هذا المجتمع بل هي الجزء المهم، فلا بد من تطوير دوره ونشاطه في إطار ما شرع الله - عز وجل - .

وقدر أينما كيف تحولت كنائس النصارى إلى مؤسسات ضخمة، ومرافق نشطة، تقدم للفقراء الطعام والملبس والتعليم والعلاج بالجان، أو بأجور زهيدة جدا، ثم هي في نهاية المطاف تدعوهم إلى النصرانية الباطلة مستغلة حاجة الناس، فيقع البعض تحت إغرائهم ومكرهم ويدخل في شبكاتهم .

والمسجد - وهو منارة الحق والهداية - من باب أولى عليه أن يناقس الكنيسة في هذا المضمار، وإن يتفوق عليها، وأهله مدعوون إلى تقديم الطعام والملبس والعلاج والعلم إلى الناس عبر المسجد ودور الدعوة، ثم هدايتهم إلى الإسلام وبذلك تتحقق سعادة الدنيا، والفوز في الآخرة .

أسأل الله - العلي القدير - أن يوفق ولاية الأمور في الدول الإسلامية للعمل على إعادة الحياة الإسلامية للمسجد كما كانت في عهد النبوة، فتعود له مكانته المشرقة، وينفع الله به الأمة في دينها ودنياها إنه نعم المولى ونعم النصير .

وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أهم المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتب السنة .
- ٣ - تفسير ابن كثير .
- ٤ - تفسير المنار - الأستاذ محمد رشيد رضا .
- ٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
- ٦ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى - نور الدين علي بن أحمد السهمودي .
- ٧ - تهذيب سيرة ابن هشام - عبد السلام هارون .
- ٨ - الخلفاء الرشidon - عبد الوهاب النجار .
- ٩ - الدعوة إلى الإسلام ووسائلها - الدكتور سليمان المدبشه .
- ١٠ - رسالة المسجد - مجلة تصدرها دوريا الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد (رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة) العدد الخامس ربيع الأول ١٤٠٢ هـ يناير ١٩٨٢ م .

